

حادثة الخطاب في أدب الخيال العلمي الجزائري

أ/ فيصل الأحمر

جامعة جيجل

حول الخيال العلمي:

لقد تعددت تعريف قصص الخيال العلمي حيث أن كل أديب حاول أن يعطينا تعريفا يختلف عن الآخر:

عرف الأمريكي بيلي (j. o Bailly): قصص الخيال العلمي بالقول «إن القصة العلمية تترجم المكتشفات والمخترعات، والتطورات التكنولوجية القريبة الظهور، أو التي لم تظهر بعد إلى مشاكل إنسانية ومغامرات حرامية»¹.

وعرفها (جروف كونكلين) الأمريكي أيضا «ذكر أن الفضاء أو الوحشي الجاحظة العيون أو العوالم السحرية أو ألوان المستقبل، بالإضافة إلى هذا كله مما تستطيع القصة العلمية أن تعالجه أو مما تعالجه بالفعل نجد أنها تتمتع بغريزة تتعلق بالأفكار والتساؤلات الخيالية عمن يحيطون بنا بل تتعلق بالعالم على اتساعه»²

ونجد الروائي الإنجليزي كتجربتي أمسيس (Kingshey Amis): له كتاب درس فيه هذا اللون من الإبداع الفني عنوانه «خرائط جديدة للجحيم» فيه قال: "إن القصة العلمية هي ذلك النوع من القصة النثرية التي لم تستطع الظهور في هذا العالم الذي تعرفه وإنما هي تقوم على فرص أساسية، ابتكارات العلم أو ما يسمى العلم الكاذب أو التكنولوجيا الكاذبة سواء كانت هذه الابتكارات من صنع البشر أو من خارج الأرض نفسها".³

كما نجد أيضا رأي آخر لأحد أساتذة الفيزياء في أمريكا وهو "أميت جوسوامي" "قصص الخيال العلمي هو ذلك الضرب من الرواية الذي يعرض لتيارات التغيير في العلم وفي المجتمع فهو يهتم بنقد النماذج العلمية الثابتة وتوسيع نطاقها وإعادة النظر فيها واتخاذ نهج ثوري إزاءها، وأن هدفه هو العمل على تحويل زاوية النظر إلى تلك النماذج بحيث تغدو أكثر تجاوبا وتوافقا مع الطبيعة"

كما أن أدب الخيال العلمي هو ذلك الفرع من الأدب الذي يتعامل مع تأثير التغيير على الناس في عالم الواقع ويستطيع أن يعطي فكرة صحيحة عن الماضي والمستقبل، والأماكن القاصية وغالبا ما يشغل نفسه بالتغيير العلمي أو التكنولوجي، وعادة ما يشمل أمور ذات أهمية أعظم من الفرد أو المجتمع المحلي، وأغلب الأحوال، تكون فيه الحضارة أو الجنس نفسه معرضا لخطر»⁴.

كما نجد أيضا رأي آخر لأحد أساتذة الفيزياء في أمريكا وهو "أميت جواسي" قصص الخيال العلمي هو ذلك الضرب من الرواية الذي يعرض لتيارات التغيير في العلم وفي المجتمع فهو يهتم بنقد النماذج العلمية وتوسيع نطاقها وإعادة النظر فيها واتخاذ نهج ثورة إزاءها، وأن هدفه هو العمل على تحويل زاوية النظر إلى تلك النماذج بحيث تغدو أكثر تجاوبا وتوافقا مع الطبيعة.

كما يمكن أن نقول أن قصص الخيال العلمي ذلك الفرق من الأدب الروائي الذي يعالج بطريقة خيالية التقدم العلمي وما سيتوصل إليه في المستقبل القريب أو البعيد وإمكانية وجود حياة في الكواكب الأخرى، كما أنه يوظف الأساطير القديمة وبعض الخرافات الشعبية.

كما نجد إسحاق عظيمون "ذلك الفرع من الأدب الذي يهتم بتأثير التقدم العلمي على البشر"⁵.

أما "إميت جوسوامي" قصص الخيال العلمي هو ذلك الضرب من الرواية التي يتعرض لتيارات التغيير في العالم وفي المجتمع فهو يهتم بنقد النماذج العلمية الثابتة وتوسيع نطاقها، وإعادة النظر فيها واتخاذ نهج ثورة إزاءها، إن هدفه هو العمل على تحويل زاوية النظر إلى تلك النماذج العلمية الثابتة وتوسيع نطاقها، وإعادة النظر فيها واتخاذ نهج ثوري إزاءها، إن هدفه هو العمل على تحويل زاوية النظر إلى تلك النماذج بحيث تغدو أكثر تجاوبا وتوافقا مع الطبيعة»⁶.

والقصة العلمية هي ذلك النوع من القصة النثرية التي لم تستطع الظهور في هذا العالم الذي نعرفه، وتقوم على فرض أساسه ابتكارات العلم، أو ما يسمى بالعلم الكاذب أو التكنولوجيا الزائفة، سواء كانت هذه الابتكارات من صنع البشر أم من خارج الأرض نفسها.

"جلالته الأب الأعظم" لحبيب مونسي

جاءت الرواية⁷ بمقدمة من تأليف الدكتور عبد العظيم العبودي هو أستاذ الفيزياء الحيوية بجامعة وهران وهي تحمل عنوان "في رحاب جلالته الأب الأعظم"، فيما قدم نبذة مختصرة جدا عن أدب الخيال العلمي ثم أشار إلى الدوافع التي جعلته يقدم لهذه الرواية وهي في الحقيقة ناتجة عن الخوف الذي تملكه بعد قراءة الرسائل الانتحارية التي جاءت كتمهيد لها، هذه الرسائل وضعت الدكتور أمام الوضع الذي نعيشه في البلاد العربية وأثارت في نفسه الخوف والهلع مما قد يحصل لنا في المستقبل تحت سلطة الدولة الإسرائيلية والدول الغربية، لهذا فقد قدم قراءته لهذه الرواية وفق هذا المنظور.

وقد جاء بعد المقدمة "التمهيد للرواية"⁸ خمس رسائل ممضاة من طرف أشخاص أقدموا على الانتحار لوضع حد لحياتهم البائسة التي أصبحت تحت رحمة الآلة، وقد كانت هذه الرسائل تعالج وضعية الإنسان المستقبلي فوضعنا فوق أرضية الحياة المقبلة ثم عرّفنا الكاتب على جلالته الأب الأعظم، الرجل الذي

جاء لينقد البشرية مما ألت إليه أن الوضع كان من تخطيط مسبق منه ومن المجالس السرية التي ترعاه، ليظهر بشخصيته الطاغية، يقدم لنا إشتار الوصيفة التي اتخذها الأب الأعظم بمثابة الأم العظمى ثم يقوم بإحضار الصبي موسى عن طريق العقل وتتعلق إشتار به وتتخذة ولدا لها.

يتربى الصبي موسى في قصر الأب الأعظم ويتعلم بأحدث التقنيات وبعد أن يبلغ سن الشباب يحاول أن يتعرف على العالم الخارجي ويرى إنسان ما خلف جدران القصر فتساعد إشتار على إقناع الأب الأعظم ويتم له ذلك ليكشف أن الرجل الذي تربى في قصره ما هو إلا وحشا جاء ليكتب أقدار البشرية بأبشع صورة، ويحاول تخلص البشرية من همجية وهمجية الآلة التي قضت على إنسانيتها وهذا بمساعدة مجموعة من الأصدقاء الذين ينتمون إلى آخر طبقة من طبقات الدولة العالمية وهي طبقة العمال وهم "العرب" إذن يقوم الشاب ببعث مجموعة من الأشخاص الذين تم استبعادهم عن العمل وفضلوا عن مشاغل الحياة فيكونون عوناً له في تخلص البشرية كما يتم القبض على الفتاة دنيا التي بعثها الكاهن الأعظم من أجل قتله وتتحول الفتاة من عدوة إلى صديقة بل عاشقة له ويتم تعطيل جهاز العقل الجبار وتحويل معلوماته لجماعة موسى وبهذا يعمل على إنقاص البشرية من كابوسها وهزم الأب الأعظم الذي يتعرض في الأخير إلى القتل من طرف الكاهن الأعظم الذي لطالما اعتبره ذراعاً الأيمن، ويتم بذلك القضاء على الظلام الذي عم البشر طيلة سنين عديدة وتشرق الحياة من جديد.

البوتوبيا الضد

يصور لنا الكاتب في "جلالته الأب الأعظم" مجتمعا مستقبليا يبدأ من سنة 2018 إلى سنة 2099 بكل ما فيه من مساوئ، أين عملت فيه الآلة على تبليد الدهن وتحويل الإنسان إلى مجرد لعبة بين يديها بعدما احتفظ العقل الجبار برسم دماغ كل إنسان على سطح الأرض ليقوم بتوجيهه وتحويله....إنها ملامح الدولة العالمية الموحدة التي قضت على الأقاليم والحدود، قضت على الدين والتاريخ وأحرقت كل الكتب السماوية والبشرية ضمن عملية تطهير كما يسميها جلالته، تطهير الإنسان من كل شيء يجعل يسمى إنسانا، حتى الأحاسيس والمشاعر رأى فيها أنها تجلب المتاعب له ولا بد من نبذها، هكذا أدخلت جيوش الناس في أحشاء الآلات ليخرجوا منها كل مبرمج لمهمة محددة، ثم جمعوا في محتشدات ضخمة وقسموا حسب انتمائهم إلى طبقات فكانت الدولة مقسمة إلى ثلاثة وثلاثين طبقة يتولى شؤون كل طبقة مجلس مكون من حكيم يساعد على أداء المهام كاهن عسكري ومربي، ولهم كل شهر حج إلى القاعة المشرفة التي هي قاعة اجتماع للترود بالطاقة الحيوية من الأب الأعظم والذي هو القوى العظمي للدولة العالمية، وبهذا كانت الدولة العالمية تعمل على ثلاث مجالات هي:

(أ) المجال الديني :

دمرت كل الكنائس والمساجد والمعابد وحطم كل شيء يميز للدين وأقيم دين جديد يؤمن بأبوة الأب الأعظم وعبوديته وملكه، كما أنشأت بيوت عبادة حديثة يدخلها الداخل في جو من الخشوع والندم فيقدم ولاءه وخضوعه، ثم يجد ما تشتهي نفسه ماثلا بين يديه⁹، وبهذا كان الدين قائم على توحيد الأبوة العظمى وإقامة النعيم على الأرض لا السماء.

ب) المجال العسكري:

تم إنشاء جيوش مدبرة منظمة مهمتها مراقبة العامة أثناء أداء الأعمال وحراسة الدولة والأب الأعظم، كما تم انتقاء صفوة الجنود الأكثر وحشية من أجل الاستعانة بهم في الحوادث الطارئة، كما تم إنشاء المراكز العسكرية وهي لا تعمل على الإعداد العسكري لهم لأنهم أخذوا هذا في المدارس القديمة ولكن هدفها هو إعدادهم روحيا من أجل تقديم الولاء أولا ثم البرمجة ثانيا .

ج) المجال التربوي:

تم نبذ كل الثقافات وإحراق الكتب السماوية والبشرية، وتم تقديم الكتاب المقدس الجديد الذي يتمشى مع كل طبقة أي لكل طبقة دين يتمشى معها، إلا الطبقة الدينية التي حرمت من التعليم لتبقى مبرمجة للعمل في الحقول والمناجم فقط وهي طبقة العرب، كما كان يمكن للفرد أن يترقى من طبقة إلى طبقة.

مظاهر التناص السردى في الرواية:

التناص إذا نظرنا إليه من زاوية في ذاتها هو استعارة نص سابق لاستكمال نص آت حاضر يشكل في النهاية قطبا دلاليا يفي بتقديم الخبر المقصود حاضرا، فالتناص على مستوى الكتابة نص تراكمي يكون جزءا منصوص كالمشبه به، لا تفهم طبيعة المشبه إلا به، لأن النص المعين (المقروء) لا يمكن، فهمه دون الرجوع إلى عشرات النصوص التي سبقته وأسهمت في خلقه، فالتناص إذا تداخل لمجموعة من النصوص في رقعة كتابية واحدة.

والرواية التي بين أيدينا لا تخرج عن النص الروائي ولكنها لا تكتفي بهذا بل تذهب بجذورها إلى مراجع أخرى، وهذا ما أعطى لهذا الإبداع جدية العمل، والرواية كما هو واضح تأخذ أبعادا استشرافية مستقبلية وتثير أحداث سابقة ابتداء من سنة 2018، ولكن مع هذا فإنها مستوحاة من الواقع الديني التاريخي الذي اتخذه الكاتب كعينة وصاغه في شكل فني وعاد تشكيل قصة "فرعون وموسى" الدينية في

قالب جديد يخضع إلى نظام معين من الأحداث والشخصيات فكانت الرواية بهذا بنية فنية تعيد تشكيل القصة من جديد، والقارئ في الرواية لا يدرك هذا أول الأمر لأن الكاتب بدأ في البداية بوصف العالم المستقبلي وما آلت إليه البشرية على يد الأب الأعظم ولكن بمجرد قدوم الصبي موسى وتطور الأحداث نرى أن هذا الرواية هي صياغة جديدة لقصة "فرعون وموسى" ففرعون كان الرجل الطاغية الذي يعبد في الأرض على أنه رب البشرية، يقول تعالى في كتابه العزيز "إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين ونريد أن نمّن على الدين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين" سورة القصص.

يذكر الله في هذه الآيات أن فرعون تجبر وطغى وبغى وآثر الحياة الدنيا وأعرض عن طاعة الله وجعل أهلها شيعا أي قسم راعيته إلى أقسام وفرق وأنواع، يستضعف طائفة منهم وهم شعب بني إسرائيل الذين هم من سلالة نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، وفي الرواية نجد أن جلالة الأب الأعظم كان بدوره طاغية وقبلة لكل البشر، وكان الولاء له على أساس ثلاث مسلمات هي "الأبوة العظمى، الملك، العبودية" كما أنه عمل على تقسيم العالم إلى طبقات وكانت الطبقة المستضعفة الفقيرة هي طبقة العرب، وإذا كان فرعون يمارس طغيانه عن طريق القوة فإن الأب الأعظم يمارسه عن طريق القوة أيضا ولكنها قوة الآلة التي سيطر بها على كل البشر وهذا مواكبنا لروح العصر الذي فرض سيطرة الآلة على كل المجالات، وفي الحقيقة نجد الكاتب قد استعار بعض الأسماء الدينية التي توحى لنا بالقصة النبوية، فقد استعار اسم الصبي "وهو موسى" وهي استعارة توحى لنا مباشرة بأن خلاص البشرية ستأتي على أيدي هذا الفتى كما كان خلاص البشرية على أيدي موسى النبي، وبمجرد ذكر اسم "موسى" ندرك أن الرواية سوف تتبع نفس خطوات القصة النبوية تقريبا كما استعار الكاتب أسماء بعض الأنبياء

أحمد، عيسى، وهي في الحقيقة استعارة تحمل الأذهان تساؤلات واستفهامات عديدة منها، هل سيحدث هذا؟ هل يمكن أن يكرر التاريخ نفسه؟....

ثم بعدة هذا نجد فرعون في القصة النبوية يقف حائرا في أمر الرضيع موسى أيقنته خوفا من ضياع ملكة، - كما رأى في منامه - أم يتخذه ولدا ثم يقرر في الأخير قتله لو لا تدخل زوجته لتجعل منه ولدا لم تلده هي، ونفس الأجواء في الرواية حيث نرى الأب الأعظم حائرا في أمر الصبي موسى أيقنته خوفا من إعادة التاريخ نفسه فيحدث لفرعون على يد موسى النبي، أم يتخذه الابن الأعظم على حد تعبيره ثم يجد المفارقة بين القستين فالصبي عربي وموسى النبي كان إسرائيليا، وهنا يتخذ قرارا بجعله "الابن الأعظم" تحت توسلات إشتار، تلك الوصفية التي ولد فيها الصبي مشاعر الأمومة والحنان فاخترته ولدا لها واجهدت في سبيل إقناع الأب الأعظم كما جاهدت زوجة فرعون، وإذا كان موسى النبي وصل إلى القصر وهو رضيع بواسطة صندوق حمله البحر إلى القصر فإن موسى الصبي ذو سنوات قد جاء إلى القصر عن طريق العقل الجبار الذي أحضره من أقاصي الأرض في لمح البصر، وهنا نجد رؤية مستقبلية كم الكاتب فيري أن العالم قادر على نقل الإنسان من مكان إلى مكان في غضون ثواني، وهو بهذا يعطي رؤية تنبؤية تعد في الوقت الحالي ضرب من الخيال المستحيل....ومع هذا فإن الكاتب لم يتقيد بالنص الأصلي تماما فقد كان موسى النبي واعيا لما يحصل من ظلم للرعية فلم يتأخر عن نصره الضعيف رغم أنه يخالف الملك بهذا وهذا ما جعله يقوم بالرحلة هربا من فرعون وأثناء الرحلة يدرك سر الوجود، ويختاره الله نبيا لتخليص البشرية من بطش فرعون، وهذا ما يحصل في الرواية إلا أن موسى الفتى لم يكن واعيا لما يحصل خلف جدران القصر لأنه لم يبرحه منذ أن دخله ولكن بعد الرحلة يصطدم بالواقع ويكشف حقيقة الدولة العالمية كما يكشف

في هذه الرحلة أن الله هو خالق هذا الكون ومن ثم يسعى إلى الثورة على هذا النظام وتخليص البشرية من قبضة الأب الأعظم والآلة .

وإذا كان النبي موسى قد جاء برسالة التوراة لهداية البشرية وتخليصها من ظلم الملك فرعون فإن موسى الفتى قد أتى برسالة هدفها إعادة البشرية إلى طبيعتها الأولى وتخليصها من ظلم الأب الأعظم والآلة، وتنتهي كلتا بموت الطاغية وانتصار موسى، وإن كانتا تختلفان في طريقة الموت.

من خلال ما سبق نرى بأن الكاتب اعتمد على التناص في كتابته لهذه الرواية كطريقة حدثية¹¹ بامتياز فقد ذهب بنا إلى الماضي وصاغ لنا ما يمكن أن ينقلنا إلى المستقبل يعبر به عن هواجسه تجاهه، والحقيقة أن الكاتب بالرغم من أنه أعاد تشكيل القصة برواية حافظت على نفس الأحداث والقالب تقريبا، إلا أنه ضمنها رؤى جديدة بما يتلاءم مع هذا العصر .

كما يظهر لنا أن الكاتب كان متأثرا بقصص ألف ليلة وليلة، فقد أبدى في هذه الرواية تأثرا بهذا النمط السردى المتميز... وهنا نكون بصدد وضع اليد على حادثة الخطاب الروائي العلمي في الجزائر...من باب كون الخيال العلمي عموما بعيدا شيئا ما عن التناص والحوار بين النصوص وتناول الماضي...الخ وكلها عناصر تنتمي إلى دائرة الأدب العام لا العلمي.

الكلمات الجميلة كما دونها نبيل دادوة

إن أشد الأعمال تهديدا لسائد الكتابة وأكثرها غوصا في أعماق الحادثة هي تلك التي تحدث زلزلة خافتة بطيئة تكاد لا بشهر بها. تلك هي الحال مع رواية "الكلمات الجميلة أو رحلة إلى الزهرة" للكاتب نبيل دادوة¹².

إنها رواية تكاد تكون ريفية rurale حسب مصطلح الرومانسيين هكل مادتها الخام حديث يغوص في عوالم القرية التي يعلن عنها الروائي منذ الصفحة الأولى

(والتي إليها تعود أصوله) "أولاد بوفاهة" (ص5)... القرية التي أهلها أندلسيون لم يعودوا يعلمون أنهم طردوا من حنة الأندلس وأنهم منفيون في تلك الرشرة التي نسيها التاريخ.

إن العنوان يدل دلالة صارخة على محتوى الرواية... فنحن مباشرة أمام جوهر المفارقة التي ينبني عليها العمل:

الكلمات الجميلة ===/ رحلة إلى الزهرة

فضاء حالم ===/ كوكب، فضاء، علوم

ونحن بهذا غائصون في قلب الثنائية التضادية المسيرة للعمل السردى: رومنسية القرية وسحر الكتابة الأنيقة من جهة، والعالم العلمية التكنولوجية لذلك البطل المشتغل على صناعة مركبة فضائية تسمح له بزيارة كوكب الزهرة الذي جاءته نبوءة تعلن عن كون الكلمات الجميلة معتقلة في إحدى مغاراته (ص5)...

الجميل والجديد بالنسبة للخيال العلمي- شرقا وغربا- هو فراغ ذلك السرد من الفجاجة والبرودة والخطابية والتعليمية التي صاحبت الخيال العلمي منذ نشأته.

في حالة "الكلمات الجميلة" يبدو كأن الروائي لا يأخذ من خ.ع إلا موتيفا يتحرك من خلال طاقاته التخيلية... أما المادة الخام للرواية فهي الوقائع الصغيرة والأحداث البسيطة والحوارات الرشيقة لأهل "الدشرة"... المكونات الصغيرة التي يعطيها نبيل دادوة عمقا قل نظيره.

ما أعتقد أنه سيحسب لهذا النص هو الجانب الحداثي الذي عمل على المصالحة بين عناصر تعودت عدم المصالحة: السرد العلمي، الواقع الريفى القروي، الكتابة الشعرية الثرية ببلاغتها والتوالد السردى على نمط "ألف ليلة وليلة"، ثم الإحالات المستمرة على التاريخ العربى وكذلك الجزائري...

"أمين العلوانى" لفيفصل الأحمر

كثيرا ما اقترن (الخيال العلمي) بالقصص التي تحكي عن الخوارق، أو عن مخلوقات غريبة، أو عن السفر والانتقال عبر الأزمنة بواسطة آلات فائقة التطور يعجز العقل البشري عن استيعابها...ولكن هذه المرة جاد البحر بشيء مختلف تماما، والغنيمة هذه المرة رواية "أمين العلواني"¹³ لصاحبها فيصل الأحمر.

رواية "أمين العلواني" هل هي الخيال أم الواقع؟

من يتأمل غلاف هذه الرواية يخال في لحظة ما أنه على وشك الغوص في المجهول المختبئ بين طيات سواد الفضاء الرحب، أو أنه بصدد القيام برحلة بين النجوم والأفلاك التي يراها عبر النافذة. ولكن هذا سرعان ما يتلاشى؛ فلا شيء مما سبق ذكره موجود في هذه الرواية التي أتننا بالجديد. فقد وجه الكاتب نظره عبر النافذة صوب اتجاه آخر غير الذي نراه على الغلاف، فالرؤية لم تكن إلى الأعلى ولا إلى الأمام، وإنما إلى الأسفل، وبدل أن يغوص في مجاهل الظلام، أطل من تلك النافذة على الواقع الذي يريد أن يراه، الواقع المحتمل.

وقبل أن نصنف هذا العمل الأدبي في خانة الخيال العلمي، لابد من الإشارة إلى أن أي عمل أدبي (شعري أو نثري) لا يخلو من خيال، سواء خيال المؤلف أو خيال القارئ المتلقي وإذا أضفنا إلى الخيال كلمة "علمي" فإننا نتجاوز الخيال المألوف إلى ما هو مرتبط بشكل أو بآخر بما هو آلي، تقني، غريب، غير قابل للتصديق...فهل "الخيال العلمي" هو النقيض للمألوف؟ انطلاقا من أن الخيال العلمي تجسيد للغرائبية. الناص من خلال عمله هذا الذي يصنفه ضمن الخيال العلمي، لم يكن يريد مفارقة الواقع، ولا الهروب منه، لأنه هو الذي قال: "أن تكتب رواية خيالية علمية معناه أن تواجه الواقع وألا تهرب منه أبدا... معناه أن تكون حذرا لأن الواقع في خ ع متحرك دائما.حقيقي ينبض حياة.. إنه واقع فوتوغرافي والصورة الفوتوغرافية تستطيع أن تكون كل شيء ما عدا واقعا.." (الرواية ص5).

انطلاقاً من هذا نجد أن الخيال في هذه الرواية لم يكن سوى استشراف للمستقبل أو رؤيا لما سيأتي، لأن الكثير مما فيها محتمل الحدوث. فإذا كان الكاتب غير راض بهذا الواقع الفوتوغرافي المحنط، فعليه إيجاد البديل، وانطلاقاً من هذا الواقع المرفوض حاول أن يصنع واقعا آخر وفق رؤية تتخطى التوقعات، أو أراد أن يتدخل في رسم هذا الواقع الذي يرفضه، فتحوّلت الصورة الفوتوغرافية للواقع إلى صورة رقمية "ديجيتال" معدلة حسب الرؤية، الذوق.. وهذا هو الواقع بتصرف.

رواية "أمين العلواني" أسطورة المستقبل

على غرار ما حفلت به الرواية من تأريخ، ونقد، وفلسفة... هناك نواة صغيرة جدا من ميراث الماضي الغابر، إنها الأسطورة، وانطلاقاً من الرأي القائل بأن الرواية ما هي إلا تطور عن السرد الأسطوري فكذلك نجد في هذه الرواية ما يبرر ذلك وما يحاول صنع أسطورة الماضي في المستقبل. وهذا الكلام يبرره أسلوب وطريقة الكتابة، لغة الكتابة، الأفكار والقضايا التي عالجتها الرواية، فمثلاً في المستقبل يمكن كتابة الكتاب الذي تحاول الإنسانية تأليفه منذ أقدم الأزمنة وتقتل في كل مرة. وفي المستقبل يتحول "فيصل الأحمر" إلى "أمين العلواني" إنها أسطورة البطل الذي لا يموت، والذي يوجد في كل زمان، والموت إنما يلحقه في مكان ليحيا في مكان وزمان آخرين. "فيصل الأحمر" قبل أن يموت اختار الصورة التي يريد أن يكونها في المستقبل - لولا أن يداهم الموت - فهو العبقري، الذكي، العالم بكل شيء... و"أمين العلواني" العظيم يتسنى له أن يرى أنه لو ولد في زمان غير زمانه لما كان كبير الشأن لأن ذلك الماضي بالنسبة له زمن شقاء وغباء، وسذاجة... لهذا كله سعى "الأحمر" إلى كتابة رواية من المستقبل الذي يريد أن يعيشه، ولعلمه بأن ذلك قد يكون مستحيلاً كتب هذه الرواية بهذه اللغة، وهذا ما

أشار إليه في نقطة مهمة، أهداف الأسلوب الجديد تحضير لغة جديدة للحياة التي ستأتي... اللغة أيضا يجب أن نكتبها لزمان غير زماننا لأن لها قراء غير قرائها.

نقطة أخيرة أود أن أشير إليها هي أن "فيصل الأحمر" كغيره من أبناء آدم تتملكه غزيرة حب البقاء، غريزة الخلود، فحاول أن تخلد من خلال الكتابة أولا، كما أراد أن يخلد في هيئة إنسان آخر (عظيم) من المستقبل وهذا الإنسان هو بطل الرواية "أمين العلواني" فأسطورة البطل تعاود الظهور إلى جانب فكرة الخلود، ألا يريد الكاتب أن يكون بطلا خالدا؟؟؟

يبقى أن نشير إلى أن أهم ما ينبعث من هذه الرواية هو الجانب ما بعد الحداثي لا الحداثي... إذ أن الرواية مليئة بالمرح الذي يذكركم باللعب على مستوى اللغة والشكل الأدبي، ثم إن الرواية لا تهمل تماما التأمل ففي شكلها وانكتابها فيما هي تكتب، وهي نص يقف على تخوم الأجناس الأدبية... وهذه العناصر الثلاثة من أهم ما يستوقف ما بعد الحداثيين¹⁴...

وأجد هنا فائدة لا شك فيها في استحضار بعض الفقرات التي قدم بها الكاتب روايته بها لأنها تغني عن كثير من الاستفاضة:

فاتحة

أن تكتب رواية خيالية علمية معناه أن تواجه الواقع وألا تهرب منه أبدا... معناه أن تكون حذرا لأن الواقع في خ.ع متحرك دائما، حقيقي، ينبض حياة... كثيرا ما عانى الواقع من الجمود وفقدان القدرة على الإعراب عن نفسه تحت أقلام الروائيين "الواقعيين"... إنه واقع فوتوغرافي والصورة الفوتوغرافية تستطيع أن تكون كل شيء ما عدا واقعا... فالواقع طبقات من الأشياء المحسوسة ودرجات من الوعي بالشيء نفسه وطرق عديدة لتأويل ما تلتقطه الحواس وبعيه العقل... والأدب الواقعي عاجز عن ترجمة هذه الأشياء...
إن هذا هو ميدان رواية الخيال العلمي.

كان نيتشه يتحدث عن "تعدد الحقائق" رادعا ثقة «مرحلة الأنوار» في الوعي بالمحيط وثقتها في قدرة العقل على إدراك الجواهر كلها من الميتافيزيقا إلى المحسوسات المختفي معناها بشكل ما ونحدث اليوم عن "تعدد الواقع"... هل الواقع ما تظنه نحن واقعا؟ هل الواقع ما نعيشه في اليقظة أم أن اليقظة حالة غير حقيقية نغوص فيها متى استيقظنا من النوم الذي يكون بذلك الواقع الحقيقي غير المخدوع ولا المخادع؟... أم أن الواقع ما يراه ويعيشه السكران أو المريض المهلوس أو المخدر؟... وما هو الواقع "الواقع" عندما يعيش مجموعة من الناس وضعية واحدة ويعيها كل منهم بطريقة ؟ من من هؤلاء الواعين يعي الواقع في حين يكون الآخرون مخطئين في حسابانهم؟

الخيال العلمي هو الوحيد الكفيل بإجابة هذه الأسئلة...

أن تكتب رواية خيالية علمية معناه أن تتحلى بشجاعة وجرأة معينة لان ما يتخيله الواحد منا حول شكل المستقبل غالبا ما يأتي المستقبل ليظهر سخافته وضعف مخيلة صاحبه... والعزاء الوحيد للكاتب الذي يصبح مضحكة هو أنه غالبا ما يكون ميتا غارقا في واقع البرزخ وما بعد القبر من واقع!!...!

ألا يكون الواقع هو ما ينتظرنا بعد الموت وتكون الحياة كلها حلما أو لعبة خيالية تدور أحداثها على ارض خيالية اسمها "الأرض" مثلا ؟
أن تكتب رواية خيالية علمية معناه ألا تنتظر اعتراف المحيط بلا مباشرة لأن هضم القراء والنقاد لروايات الخيال العلمي منذ قرابة القرنين هضم عسير في أغلب الأحيان إذ أنه قلما نالت رواية خ. ع جادة اعتراف القراء والنقاد مباشرة... والعزاء الوحيد هنا أيضا هو اللذة التي يجدها كاتب هذا النوع وهو يكشف عن واقع مخيلته، وتصوروا تلك اللذة وأنا أفتح بوابة دماغي على الواقع الوحيد الموجود فيه، الواقع الذي لا يعرفه أحد سواي، الواقع الذي ظل خفيا حتى تسنى لي أن أطلع عليه الآخرين، الواقع الذي أجتهد وأتلذذ بكتابته ووصفه وسرد حيثياته قطعة قطعة، وطيلة عام أو عامين من الكتابة وأنا أخرج به إلى أن يأخذ شكله النهائي الذي هو هذا الكتاب!

ربما يوجد عزاء آخر هو الطمع في المجد (ألم يسمها أرسطو "غريزة المجد"؟)...

أن يعمل الكاتب في صمت، أن يجتهد أن يكون وفيا لرؤاه، أن يخترق المحظور ويتجاوز الحدود التي يراها خرقاء حمقاء... أن يكون صادقا مع نفسه ومع الآخرين... أن يحب عمله ويحب الآخرين ويكتب وهاجسه الوحيد التوصيل لأجل التواصل مع أهله (مع أهله مرتبين من عائلته وأهل بيته إلى القارئ الافتراضي الذي قد يكون في اليابان وبعد قرنين أو ثلاثة من الزمن).

أن تكتب رواية من الخيال العلمي -أخيرا- معناه أن تكون من المجانين الذين يتخلصون نهائيا من الجاذبية ومن سلطة أنساق المجتمع العاقل، وأنظمة المنطق، وواجبات الاتجاه السياسي، أن تجد السير إلى الخلف مثل إبراهيم رمضان (بطل قصتي "المجنون" من مجموعتي خ. ع "وقائع من العالم الآخر" -الصادرة عام 2002)، وألا تكون حريصا على المحابة والوصول وإرضاء المقربين،

وَألا تحترم إلا الحق، الحق الذي يقف متحديا للباطل منذ بدء الخليقة دون هدنة أو اتفاقيات مريحة ودون إدار أو بحث عن أرضيات مشتركة وحلول وسط تمسك بالعصا من وسطها.

ماذا عن "أمين العلواني" ؟

أمين العلواني مولود وحي يرزق ... وأحداث حياته أمامك في الكتاب... مالك الأديب موجود وهو كاتب سيرة أمين العلواني الأديب المشهور ... والدليل على ذلك الكتاب الذي بين يديك...

وأمين العلواني يترجم لحياة كاتب قديم مشكوك في قيمته الأدبية هو فيصل الأحمر... وهذا الشخص أيضا موجود واسمه على غلاف هذه الكتابة/الرواية/السيرة/الترجمة/الدراسة/التأريخ وكل الدلائل تدل على أنه موجود... فيصل الأحمر كتب كتابا عن أمين العلواني مع مطلع القرن الحادي والعشرين أي قبل ميلاده...

أمين العلواني المستقبلي يشبه أمين العلواني الماضي... وهذا الأمر ليس محيرا على عكس ما يقوله مالك الأديب الذي سيأتي بعد أمين العلواني بنصف قرن تقريبا... والدليل هو ما نقوله ترجمة مالك الأديب عن الشخصين (أمين العلواني /الرواية وأمين العلواني المؤلف ذائع الصيت...)

وفیصل الأحمر موجود في نهاية القرن الحادي والعشرين بفضل كتاب أمين العلواني عنه، وذلك ما يؤكد مالك الأديب (كاتب سيرة العلواني) ومالك الأديب هو شخصية قديمة لرواية كتبها فيصل الأحمر مع بداية القرن الحادي والعشرين...

إنها أشياء تشبه الخيال العلمي ...

فلنرجع الكلام عنها إلى نهاية هذا الكتاب الذي كتبه فيصل ... لا الذي كتبه هو مالك الأديب وهو... لا ... أغلب ما في الكتاب أعمال من تأليف أمين

العلواني الذي هو بطل ترجمة مالك الأديب التي هي رواية لفصيل الأحمر الذي هو بطل لكتاب لأمين العلواني الذي هو بطل لكتاب لمالك الأديب الذي هو بطل رواية فصيل الأحمر كما هو وارد في ترجمة للعلواني كتبها مالك الأديب الذي أوجده أول مرة فصيل الأحمر الذي هو ...

الهوامش:

- 1- الإبداع الفني في قصص الخيال العلمي . ص 31 .
- 2- المرجع نفسه. ص 32 .
- 3- المرجع نفسه. ص 32 .
- 4- روبرت سكولز وآخرون، آفاق أدب الخيال العلمي . ترجمة حسن حسين شكري، الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1996. ص 36 . .
- 5- الخيال العلمي. ص 4.
- 6- إميت جوسوامي، العلم والخيال العلمي يتظافران على استشراف الواقع، رسالة اليونسكو، تصدرها منظمة الأمم المتحدة والثقافة، اليونسكو، نوفمبر، 1984 . ص 4
- 7- حبيب مونسي: جلالته الأب الأعظم -دار الغرب- 2001 ط1- الجزائر
- 8- م. نفسه - ص ص: 18/10
- 9- م. نفسه - الفصل الثالث
- 10- فصيل الأحمر: مدخل إلى الخيال العلمي-مجلة "النص/الناص" جامعة جيجل-ع7
- 11- Gérard Diffloth : science-fiction-gamma presse-1962-France-p21
- 12- نبيل دادوة: الكلمات الجميلة- دار المعرفة- الجزائر - 2008
- 13- فصيل الأحمر: أمين العلواني- دار المعرفة-الجزائر-2008
- 14- ميجان الرويلي، سعد البازغي: دليل الناقد الأدبي-المركز الثقافي العربي-المغرب-مادة: ما بعد الحداثة.